تاريخ الجزائر الحديث 1519-1830
السداسي: الثالث
ماستر 2
اسم الوحدة: العلاقات الجزائرية الأوربية 2

أ.د. عبد القادر فكاير

علاقات الجزائر مع الدويلات الإيطالية - 1

كانت الأراضي الإيطالية مع بداية القرن الـ15 هي الأكثر تتحضرا في قارة أوربا ، ورغم ذلك لم تكن موحدة ، وظلت مقسمة إلى دويلات مثل نابولي وفلورانسا والبندقيو. وكانت إيطاليا تعيش عصر النهضة منذ مدة قرن على الأقل. وفي القرنين الـ 16 و 17 تحكم في أجزاء كبيرة من الأراضي الإيطالية كل من الأسبان والنمساويين، وتعرضت إيطاليا لنهب ثرواتها من الإسبان ، إلا أن أباطرو هابسبورغ النمساويين تبنوا التنوير لتحسين الأوضاع الاقتصادية مما جعل المدن الإيطالية الكبرى تكون أرضا خصبة للنقاشات الفكرية. وفيما يلي بعض مظاهر العلاقات بين بعض المدن الإيطالية وإيالة الجزائر خاصة فيما يتعلق بالمجابهات العسكرية وإبرام المعاهدات.

1- **جنوة:** كان لجنوة حضور كبير ونشاط واسع في الحوض الغربي للبحر المتوسط منذ العصور الوسطى، حيث كانت تربطها علاقات مع بلاد المغرب خاصة في المجال التجاري. وعندما ظهر البرتغاليون وسعوا إلى السيطرة على الطرق التجارية ، وقاموا باحتلال سبتة سنة 1415، ثم قاموا بتوجيه حملات على مراكز تجارية في المغرب الأقصى ، اضطر الجنويون إلى التحالف مع إسبانيا التي كانت هي الأخرى التي كانت منهمكة في حرب الاسترداد، والتوسع إلى البلاد. استغل الجنويون ذلك الوضع وراحوا من جانبهم يحتلون جيجل وأقاموا بها قلعة لصيد المرجان عام 1513، وقد بلغ عددهم آنذاك نحو 600 فرد. واستطاع عروج وإخوته من تحريرها سنة 1514.

2- **حملة توسكاناعلى عنابة 1607:** عزم دوق توسكانا فرديناند الأول على غزو مدينة عنابة بإسناد هذه المهمة لفرسان القديس ستيفان . وكانت مدينة عنابة في نظر التوسكانيين أنها كانت تشكل مصدر قلق وتهديدا للمصالح التجارية لتوسكانا، إلى جانب فقدان جمعية فرسان القديس ستيفان لعدد معتبر من بحارتها في هذه المدينة. إلى جانب ذلك كانت مدينة عنابة تمثل سوق لتجارة الرقيق المسيحيين، فكان الهدف من غزوها أيضا هو تحرير الأسرى المسيحيين. انطلقت حملة توسكانا هذه من مدينة ليفورنو في شهر سبتمبر 1607، وكان الأسطول يتشكل من 14 سفينة، تحمل على متنها ألفي جندي عدد آخر من المتوطعين، تحت قيادة سيلفيو بيكولوميني. لقد قاومت المدينة الهجوم التوسكاني بكل قوة ، غير أن

التفوق العسكري التوسكاني مكن الغزاة من محاصرة أماكن تواجد الأسرى وتم تحرير العديد منهم، وعندما سمع التوسكانيون بقرب وصول النجدة العسكرية من الجزائر اضطروا إلى الانسحاب. وتصل البلدان في سنة 1748 إلى عقد معاهدة. حيث سمحت المعاهدة لسفن توسكانا الاحتماء في الموانئ الجزائرية في عند الضرورة (المطاردة – العاصفة).

3- المعاهدة الجزائرية-البندقية 1763: تعد البندقة من أهم المدن الإيطالية ذات النشاط التجاري والسياسي في البحر المتوسط. لقد تمكنت هذه الجمهورية من الحفاظ على علاقاتها السلمية مع الباب العالي إثر سقوط القسطنطينة، وهذا ما دعاها إلى عقد مع الإيالات العثمانية خاصة الجزائر وتونس.

عزمت البندقية في سنة 1720عقد اتفاقيات مع الجزائر وتونس، فأوفدت الدولة العثمانية مبعوثا إلى الإيالتين وطلب من الحكومتين إلى مندوبين إلى الباب العالي للتفاوض مع ممثلي البندقية. غير أن هذه الاتصالات باءت بالفشل بسبب معارضة التجار البنادقة بحجة تحمل مصاريف المفاوضات. وكانت البندقية تحتج لدى الباب العالي ضد البحارة الجزائريين وكانت الدولة العثمانية ترد عليها بضرورة عقد السلام مع تلك الدول. وهذا ما أدى بالبندقية إلى إجراء مفاوضات نذكر منها:

1- مفاوضات نيقولا روزاليم (1754-1753): كان روزاليم قنصلا في إزمير، ورغم أنه قضى قرابة سنة في الجزائر إلا لم يوفق في النجاح نظرا لمعارضة القناصل الأوربيين بالجزائر ، والرياس، وكذلك التجار اليهود حفاظا على مصالحهم التجارية.

2- وفي سنة 1762 أوكلت البندقية لتاجر يهودي يدعى يعقوب بوشعرة للتفاوض باسمهم، لكن مجلس الشيوخ سرعان ما تراجع وجرده من المهمة.

3- مفاوضات جيرفازوني قيتانو وإبرام معاهدة 1763: حل جيرفازوني بالجزائر في شهر جويلية ، وبعض مفاوضات مع حكام الإيالة تم الاتفاق على عقد معاهدة بين البلدين . وقد تم وضع شروط المعاهدة اعتمادا على مشاريع سابقة ، واتفق الطرفان على بنود سرية تعهدت البندقية بمقتضى البند الأول مبلغ من المال، وتقديم هدايا في المناسبات إلى الداي وحاشيته. نص البند الثاني على أن تدفع البندقية 10 آلاف سكينة سنويا، كما تعهدت في البند الثالث بتقديم 15 أسير مسلم هدية للداي ، وفي المقابل تعهد الداي بإدراج بند يقضي بمنع السفن الجزائرية من الدخول إلى بحر الأدرياتيك.

تتشكل المعاهجة من 23 مادة احتوت على مسائل مختلفة كانت تشغل الطرفين وعلى رأسها الملاحة البحرية وحماية السفن ، وحددت مجال الغزو المسموح به للبحارة الجزائريين ، كما تناولت موضوع الأسرى وكيفية معالجتها، كما تعرضت إلى المبادلات التجارية التجارية ، وحددت الرسوم الجمركية المفروضة على سفن البندقية بـ 5 بالمائة. وأقرت الحصانة الدبلوماسية لقنصل البندقية وحدد الصلاحيات الممنوحة له. ورغم تحفظ نواب مجلس الشيوخ البندقي حيث اعتبروها مذلة نظرا لما كلفتهم من مبالغ مالية ، فقد صادق عليها هذا المجلس.

تقديم الهدايا إلى الجزائر:

كانت الهدايا تقدم إلى الدايات من طرف القناصل الجديد القادمين لأخذ الإقامة في مدينة الجزائر. فقنصل البندقية مثلا قدم هدايا سنة 1778 تعادل في قيمتها ثلاثين ألف دوقية من الذهب. وقائد الوحدة التابعة للبندقية المرافقة أنجيلو ايمو(Emo Angelo)وهو رجل نبيل، كان قد سمح له كعلامة تشريف ليرافق القنصل ويجلس بحضرة الداي مقابل هدية تعادل في القيمة تلك التي قدمت من طرف القنصل واعترافا بوضعه الاجتماعي، وقد دفع ايمو وقبل ذلك كان الدوق الكبير لتسكانيا Tuscany قد أشعر عن قبوله معاهدة الصداقة مع الجزائر لسنة 1718 بتقديم هدية تتكون من مخروط محشو بالحجارة الكريمة.

معاهدات أخرى أبرمت من الجزائر والدويلات الإيطالية:

إلى جانب هذه المعاهدة، أبرمت إيالة الجزائر معاهدات أخرى مع بعض الدول الإيطالية هي:

معاهدة سلم وتجارة بين توسكانا وإيالة الجزائر في 27 ماي 1748.

معاهدة سلام بين توسكانا وإيالة الجزائر في 8 أكتوبر 1748

معاهدة سلام وتجارة بين توسكانا وإيالة الجزائر في 15 أفريل 1822

معاهدة سلم بين الجزائر وسؤدينيا في 3 أفريل 1816.

معاهدة سلم بين الداي عمر و ملك الصقليين فرديناند الرابع في 03 - أفريل 1816 م.